أماكن القصاص في دمشق

الدكتور صلاح الدين المنجد

في هـذا البحث تظهر صفحة من تاريخ دمشق وطبوغرافيتهـا التاريخية . وسنحاول أن نحدّد الأماكن التي كانت تنفّذ فيها العقوبات المختلفة على المجرمين أو المذنبين . وفي الوقت نفسه سنوضح أنواع هذه العقوبات وأشكالها .

١ً – الصلب

الصلب عقوبة قديمة معروفة ،ورد ذكرهافي القرآن الكريم (وَلأصلبنّكم في جذوعِ النخل) – طه ٢٠/ الآية ٧١ – وكانت تجري في دمشق على أبواب المدينة ، أو على شُرُفات أسوارها ، أو في الأسواق العامّة .

ذكر الحافظ ابن عساكر أن موالي الوليد بن يزيد نبشوا قبر يزيد بن الوليد الناقص المتوفى سنة ١٢٦ هـ – بعد موتـه ، وقُبيْل مدخل مروان بن محمد إلى دمشق ، وصلبوه على **باب الجابية**[١] . وكان يزيد هو الذي أمر بقتل الوليد .

وفي أيام السلاجقة ، سنة ٥٢٣ هـ . مُسِكَ شاذي الخادم الباطني ، في فتنة البـاطنية بدمشق ، وصُلب ، وصُلب معه نفرٌ من الباطنيين ، على **شُرُفات سور دمشق**[٢] . وفي السنة التي تلتها ٥٣٣ هـ . صُلب على **سور باب الجابية** اثنان ممن قتلوا الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك[٣] .

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) ، ترجمة الوليد بن الحكم .

(٢) القلانسي ، تاريخ دمشق ص ٢٥٣

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ؛ وانظر كتابنا : ولاة دمشق في العهد السلجوقي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي أيام الأيوبيين نجدهم يصلبون في **الأسواق العامة** .

ففي سنة ٥٩٥ هـ ادعى رجل أعجمي بدمشق أنه عيسى بن مريم . فأمر الأمير صارم الدين بزغش نائب القلعة بصلبه **عند حمام العماد**[١] .

وهذا الحمام ينسب للعماد الكاتب الأصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وكان موقعه خارج باب الفَرَج ، مقابل الطاحون التي بين البابين ـ أي باب الفرج الخارجي وباب الفَرَج الداخلي . وبجانب هذا الحمام شيدت المدرسة العمادية التي نزل بها العماد يوم مجيئه إلى دمشق ، فنسبت إليه[٢]. وما تزال الطاحونة موجودة في أيامنا . ولكن الحمام باد منذ القديم .

وفي حوادث سنة ٦٠٧ هـ يذكر أبو شامة أن ابن الدخنية مات في السجن . وكان قد أصدر عملةً فسجن بسببها . فحُمل وصُلب ميتاً على قيسارية الفَرْش . قال : وأنا رأيتُه مصلوباً وعمري يومئذ ثماني سنين ودخلت في التاسعة .[٣]

ولم أتحقق موضع قيسارية الفرش هذه .

وفي سنة ٦٢٢ هـ نجد الملك المعظم يصلب شمس الدين الكعكي ، وكان رأس حزب وخلفه جماعة ، مع رفيق له ، **في سوق الغنم العتيق** . وكانوا ينزلون على الناس في البساتين ويقتلون وينهبون[٤] .

وسوق الغنم العتيق كان في الطريق الآخذة إلى الميدان الأخضر .

وفي أيام المماليك أصبحوا يصلبون في **سوق الخيل** .

ففي سنة ٦٨٠ هـ جاء مرسوم من السلطان باستسلام أهل الذمة من الدواوين

---

(١) ابن كثير ، البداية ١٣ – ١٩

(٢) النعيمي ، الدارس ١ – ٤٠٧

(٣) أبو شامة ، ذيل الروضتين ص ٧٦

(٤) أبو شامة ، ذيل ص ١٤٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والكتبة ، وأن من لا يُسلِمْ يُصلَبْ . فأسلموا كرهاً ، وكانوا يقولون آمنّا . وحكم الحاكم بإسلامهم بعد أن عرض من امتنع منهم على الصلب بسوق الخيل وجُعلت الحبالُ في أعناقهم[١] .

وسوق الخيل كان تحت القلعة من جهة الشمال وكان من أعظم أماكن المدينة أيام المماليك . فلاتساع الاعمال فيه ، وكثرة من يطرقه جُعل مكاناً للعقوبات على مرأى من الناس جميعاً .

وظلّ الصلب إلى أيام العثمانيين . ففي سنة ٩٦٦ هـ شُنق حسين جلبي متولّي السليمية بالصالحية ، هو وسنان القرماني وصُلبا معاً **بدار السعادة**[٢] .

ودار السعادة هي الدار التي كانت مقراً لنائب السلطان أيام المماليك . وظلّت كذلك أيام العثمانيين . وكانت مركز الحكم أيضاً ، وكان مكانها عند مدخل سوق الحميدية على اليمين .

وفي سنة ١٠٥٦ هـ وجد والي الشام محمد باشا ثلاثة أنفار مقتولين بالمدرسة الإقبالية قرب المدرسة الظاهرية . فصرف جهده في التفتيش على القاتلين حتى وجدهم وثبت عليهم القتل ، فصلبهم على باب المدرسة المذكورة[٣] .

٢ً – الشنق :

من أنواع العقاب أيضاً الشنق . ونجد ذكره أيام الأيوبيين والمماليك والعثمانيين .

ففي حوادث سنة ٦٠٥ يذكر أبو شامة أن مملوكاً أفرنجياً كان لفلك الدين سليمان بن شروة – وهو صاحب المدرسة الفلكية ، وأخو الملك العادل الأيوبي

(١) ابن كثير ؛ البداية ١٣ – ٢٩٤

(٢) الغزي ، الكواكب السائرة ١٣٩/٢

(٣) المحبي ، خلاصة الأثر ٣٠٣/٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من أمـه – دخل وهو سكران إلى مقصورة الخطابة في المسجد الأموي ، وفي يده سيف مشهور ، ضرب به جماعة مـات منهم اثنان أو ثلاثة ، ووقعت بعض الضربات بجانب المنبر فأثّرت فيه . فقُبض عليـه وتُرك بالبيمارستان . وشُنق بجسر **اللبّادين** آخر النهار[١] .

واللبادين هذه كانت عند باب الجامع الأموي من الشرق ، ذكرها ياقوت فقال : هو موضع مشرف على باب جيرون[٢] .

قال أبو شامة : ولم يكن على الجسر ذلك الزمان هذه العمارة ، بل كان على حافته الشرقية درابزين يدلّى فيها المشنوق إلى الطريق المسلوكة بجـيرون ، فيراه الناس من الطريق كما يرون المارة بالجسر المذكور[٣] .

وفي سنة ٦٦٠ هـ قُتل رجلٌ اسمه الزين مظفّر بن إسماعيل كان صاحب أملاك بقريتي داعية وحمورية من الغوطة ، قُتل بعد صـــلاة الجمعة . ثم مسك القاتل فشُنق بعد يومين **بين الميدانين**[٤] . أي بين الميدان الأخضر الكبير الغربي ، والميدان الأخضر الصغير الذي كان في شرقيه .

وفي أيام المماليك توحّدت أماكن الشنق . فنجد تلاً يُسمّى تلّ المُشَنّقين كان موضعه مكان جـــامع يلبغا . قال ابن كثير : في سنة ٧٤٧ هـ اهتم يلبُغا في بناء جامعه الذي بناه تحت القلعة وكان تلّ المُشَنّقين يُشنق عليه[٥] .

وبعد فتنة تيمور وخرابه دمشق وُجدت محلّة بدمشق اسمها « الخراب » شرق مئذنة الشحم . وما يزال اسم المحلة الخراب حتى أيامنـا . ويسكن في هذه

---

(١) أبو شامة . ذيل ص ٦٤

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة « اللبادين » وانظر مسجد دمشق (تحقيقنا) ص ٢٧ .

(٣) أبو شامة ، ذيل ، ص ٦٤

(٤) أبو شامة ، ذيل ، ص ٢١٦

(٥) ابن كثير ، البداية ١٤/٢٢٠ ، ٢٢١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المحلة التي أصبحت عامرة كثير من الشيعة بدمشق . فيبدو أن المشنقة انتقلت إلى الخراب في أواخر العصر المملوكي. فقد ذكر ابن طولون في « إعلام الورى » في حوادث سنة ٩٠٥ هـ أن النائب قبض على مملوك سيباي ، وكان يحاول إقامة الفتنة ، ثم أمر بصلبه بالمشنقة. قال وكانت **حينئذ بالخراب عند مئذنة الشحم**. فخرج به المشاعلية ومماليك النائب إلى المشنقة فشنقوه بها[١] .

وقد كانوا يشنقون في أماكن أخرى . ذكر ابن طولون أيضاً « أن جان بلاط قبض سنة ٩٠٤ على المجرم إبراهيم بن عطا ، أحد زعر الصالحية المفسدين . وزّتْ عليه امرأة من القُبَيْبات ، وكان مختفياً هنـــاكَ . فأمر النائب أن يُشَنْكَلَ ليُقرَّ بما نَهبَ في وقعـة الدوادار من القُبَيْبـات . فعُلق بشجرة **قرب دار السعادة** ، ثم مرَّ به النائب فأمر بشنقه في مكانه فشُنق[٢] .

وذكر ابن طولون خبراً آخر . ففي سنة ٩١٨ سرق اثنـان رأسين من اللحم ، فقبض عليهما وشنقا على باب الحانوت الذي سرقا منه[٣] .

وفي حوادث سنة ٩١٨ ذكر ابن طولون أن امرأة قيل إنها من يافا قتلت بنتاً صغيرة بمحلة السويقة المحروقة ، خنقاً ودفنتها في بيتها ، فكُشف أمرها ، فأمر النائب بشنقها **على رأس زقاقهـــا** ، ثم أنزلت بالحبل الذي عُلّقت فيه وسُحبت كالكلب الميت إلى جانب نهر قليط ، ثم دُفنت . وقيل إنهـا قتلت خمسة أنفس[٤] .

---

(١) ابن طولون ، إعلام الورى ، ص ١٠٨ ويذكر ابن طولون في مفاكهة الخلاّن أن المشنقة بالخراب ظلت إلى سنة ٩٠٦ هـ .

(٢) ابن طولون ، مفاكهة الخلاّن ١-٢١٣ ، ٢١٤

(٣) المصدر السابق ١-٢٩٣ ، وانظر خبراً آخر في إعلام الورى عن مشنقة الخراب في حوادث سنة ٩٠٦ هـ .

(٤) ابن طولون ، مفاكهة ١-٣٦٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي سنة ٩٠٥ قبض جان بلاط على كبير الزُعر بالشاغور واسمه قريش ، فضربه ثم شنقه **عند سوق الخيل** [١] .

وذكر ابن طولون ايضاً أن نائب الغيبة بدمشق أمر سنة ٩٠٧ هـ بشنق أخي الأمير ابن القواس . فأخرج من القلعـــة وشُنق بالمشنقة التي نقلت من **الخراب إلى بين النهرين** [٢] .

وبين النهرين هو المكان الذي فيه المرجة أو ســـاحة الشهداء بدمشق . ووصفه البدري وعدّه في محاسن الشام [٣] . وقال : إن شبابيك جامع يلبغا من الجهة الغربية تطل على ما بين النهرين ، وإن الجهة القبلية تطل على بردى ومـــا هناك من الأشجار والأزهار [٤] .

٣ـ الحرق :

كان الحرق يقع في **سوق الخيل** ، أو **تحت القلعة** .

فذكر ابن كثير أنه في سنة ٦٨٧ كبس نصراني وعنده مسلمة وهمـــا يشربان الخمر في نهار رمضان . فأمر نائب السلطنة حسام الدين لاجـين بتحريق النصراني ، فأحرق بسوق الخيل . وأما المرأة فجلدت الحد[٥] . وقد مر بيـان موقع سوق الخيل .

وذكر الغزّي أن محمد بن سيف الدين الدمشقي القاضي ناب في القضاء عن ابن الشحنة قاضي القضاة وغيره . ثم ثبت عليه أنه رافضي ، فحرق تحت القلعة مع رافضي آخر .

---

(١) المصدر السابق ١ـ٢٢٥

(٢) ابن طولون ، إعلام الورى . حوادث سنة ٩٠٧

(٣) البدري ، نزهة الأنام ص ٦٤ـ٦٥

(٤) وقد يشنق القاتل أمام المكان الذي قتل فيه، انظر مثلاً البداية ١٤/١٨ و ٧٨

(٥) ابن كثير ، البداية ١٣/٣١٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الغزي : ربطت رقابها وأيديها وأرجلها في أوتاد ثم ألقي عليها القنب والبواري والحطب ، ثم أطلقت النار عليها حتى صارا رماداً . ثم ألقي رمادهما في بردى . وكان ذلك تاسع رجب سنة ٩٤٢ هـ[١] .

وتحت القلعة هو المكان الممتد تحت قلعة دمشق من الشمال . وكان يبدأ من باب جامع يلبغا ويمتد حتى المناخلية اليوم عند باب الفرج . وكان لهذا المكان شأن كبير أيام المماليك ، وكان فيه أعظم الصناعات والاسواق[٢] .

٤ً ـ التوسيط

التوسيط هو قطع جسم الإنسان نصفين من وسطه[٣] .

وكان التوسيط يجري في أغلب الأحيان في سوق الخيل . ذكر ابن كثير أنه في الخامس عشر من المحرّم سنة ٧٤١ هـ ، ركب نائب السلطان بدمشق الأمير علاء الدين طُنْبُغا ومعه الأمير سيف الدين يشبك الناصري (قُتل سنة ٧٤٢ هـ) ، وجماعة من الأمراء المقدّمين ، واجتمعوا بسوق الخيل ، واستدعوا بمملوكين للأمير تنكز ، فأمر بتوسيطهما ، فوُسِّطا ، وعُلِّقا على الخشب . ونودي عليهما : هذا جزاء مَنْ تجاسر على السلطان[٤] .

وبسوق الخيل وُسِّط الأمير سيف الدين ألْجَيْبُغا بن عبد الله المظفّري سنة ٧٥٠ هـ ، لقتله الأمير أرغون شاه . ووُسِّط معه الأمير فخر الدين إياس بن

---

(١) الغزي ، الكواكب ٢/٣٥

(٢) البدري ، نزهة ص ٦٤ ، ٦٣ ، وسوفاجه

Decrets Mamelouks (1er Article) .

(٣) انظر معجم دوزي ، مادة « وسط » . وقال دهمان : وطريقته أن يُعرّى الشخص من الثياب ، ثم يشدّ إلى خشبة مطروحة على الأرض ، ويُضرب بالسيف تحت سرّته ضربة تقسم جسمه نصفين (إعلام الورى ص ١٠٢ ، التعليقة رقم ٤) .

(٤) البداية ١٤/١٨٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عبد الله الناصري لموافقته الجيبُغا على قتل أرغون شاه [١]. وقد يجري التوسيط تجاه اصطبل دار السعادة [٢].

٥ً ـ ضرب الأعناق

كان يجري في سوق الخيل .

ذكر ابن كثير أنه في بكرة الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ٧٢٦هـ، ضُربت عنقُ ناصر بن الشرف الهيتي بسوق الخيل ، على كفره واستهانته بآيات الله ، وصحبته الزنادقة ... وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة . وكان فيهم ابن تيمية وابن كثير نفسه [٣] .

وضُربت عنق رجل آخر بسوق الخيل سنة ٧٤١ هـ ، كان على مذهب الاتحادية [٤].

٦ً ـ التعليق بالكلاليب

كان يجري تحت القلعة .

ففي سنة ١٠٣٨هـ أمر كوجك أحمد باشا بنصب الكلاليب تحت قلعة دمشق، فكل من ثبت عليه القتل علّقه في تلك الكلاليب حتى عدمت الحرامية في زمانه [٥].

وعندما تولّى جفتلي عثمان باشا سنة ١٠٤٨ نصب الكلاليب كالوالي السابق. وهو الذي عمر البلاط (في الطريق) من محلة السنانية إلى بوابة الله . وعمر بوابة

---

(١) النجوم الزاهرة ١٠/٢٤٥ ، وانظر المصدر نفسه ١٠/٢١٦ ، ومفاكهة الخلّان ١/١٥٣

(٢) مفاكهة الخلّان ١/١٨٦

(٣) البداية ١٤/١٢٢

(٤) البداية ١٤/١٩٠

(٥) ولاة دمشق في العهد العثماني ص ٢٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القراونة خارج محل الشاغور [١].

٧ً ـ الخوازيق

جاءت عادة الخوزقة إلى دمشق في أواخر عهد المماليك . ويحدثنا ابن طولون أن جان بلاط حكم في رجل أزعر من الصالحية أن يخوزق . وكذلك حكم في بنت خطا كانت جارية بيضاء اسمها جان سوار بأن تخوزق [٢]. ولم يذكر المكان الذي خوزقا فيه .

٨ً ـ التسمير

التسمير دق بعض أعضاء المذنب في لوح من خشب بواسطة مسامير غلاظ . وقد ظهرت هذه العقوبة في أيام المماليك والعثمانيين . ذكر البديري الحلاّق في يومياّته أن محمد آغا المتسلم نادى على اللحم الرطل بثمانية عشر مصرية . أي جعل ثمنه هكذا . وسمّر جماعة من اللحامة (ممن لم يتقيّد بالسعر المحدّد) ولم يقبل رشوة ولا برطيلًا ، وعدل في حكمه حتى صارت الفقراء تدعو له [٣]. وكان ذلك سنة ١١٦٥ هـ . ولم يذكر في أي مكان من دمشق جرى التسمير .

٩ً ـ التجريس

أصل معنى التجريس التشهير والتسميع . يُقال جرّس بالقوم : سمّع بهم (القاموس) . ثم صار التجريس عقوبة يصحبها التعزير والتشهير وقد تجري بمراسم خاصة تلفت الأنظار ، وتختلف حسب الأزمان .

يحدثنا البديري أنه في سنة ١١٦٤ هـ جُرّس رجل قيل إنه يدق الزغل من

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤

(٢) مفاكهة الخلاّن ١/٢٢٠

(٣) حوادث دمشق اليومية ، ص ١٧١ ؛ وانظر مفاكهة الخلاّن ١/١٢ ، ١٠٨ ، ٢٥٨ ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعاملة (أي يزيّف النقود والعملة) . فأُركب حماراً بالمقلوب ، وسخّم وجهه بالسواد ، وجعلت آلة العمل (التزييف) على صدره ، وداروا به البلد كلّه[١].

وذكر حادثة أخرى سنة ١١٦٢ : « ثلاثة أشخاص **جوّصوا** ، ودُوِّروا في جميع البلد مسخمين (كذا) الوجوه ، راكبين على حمير بالمقلوب . قال : فسألنا عن السبب . فقيل إنهم يسكّون الفلوس الرملية ، وهي غش . فكان أحدهم **كردي** ، والثاني **داغستاني**[٢] .

١٠ً – الترسيم

هو ما يسمّى في أيامنا « بالتوقيف » أو « بالإقامة الجبرية » . وكان شائعاً أيام الأيوبيين والمماليك . كانوا يقولون : « جُعل تحت الترسيم » أو « رُسم عليه بمكان كذا » .

يقول ابن كثير في حوادث سنة تسع وثمانين وستماية : « في جمادى الآخرة جاء البريد بالكشف عن ناصر الدين محمد بن المقدسي ، وكيل بيت المال ، وناظر الخاص والأوقاف . فظهر عليه مخاز من أكل الأوقاف وغيرها ، فرسم عليه بالعذراوية »[٣] ..

والعذراوية هي المدرسة العذراوية بدمشق التي بنتها الست عذرا بنت أخي السلطان صلاح الدين ، وهو شاهنشاه بن أيوب . المتوفاة سنة ٥٩٣ هـ[٤]

إذن كان الترسيم يجري في المدارس ، وهناك نصوص أخرى تدلّ على ذلك نجدها في تنبيه الطالب .

بيروت **صلاح الدين المنجد**

---

(١) حوادث دمشق اليومية ، ص ١٦٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، ١٣٤
(٣) البداية ١٣/٣١٦
(٤) تنبيه الطالب ١/٣٧٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net